قـــراءة
فـــى

مأساة شاعر عذرى

د/ حامد إبراهيم الخطيب
أستاذ الأدب والنقد المساعد

قــــــــــــــراءة
فـى
مأســاة شــاعر عـذرى

توطئـــة :

ليس فى وسـع النـاظر المتأمل فى تراثنـا العربى إلا أن يقف معجبـاً ومأخـوذا بمـا يضمره أو يظهـره ذلكم التـراث المعرق ، شعرا ونثـرا .

وليس من شـك فى أن النمـاذج العالية والباهـرة فى هـذا الأدب لا تكـاد تتنـاهى ، وهـذه النمـاذج وسواها قـد أخرجتها ألسن فصيحة ، وفطـن عربية وأذواق سليمة صحيحة .

أدب تزجيـه عواطف صادقة ، ومشـاعر مرهفـة ، وتجارب ملهمـة موحيـة ، ومعـاناة عـذبة على الرغـم ممـا تحمـله من عذاب ، وناهيـك بذلك من دواع وأسباب تسـمع الصـم ، وتنطق البـكم ، وتشـف عن مكنـون إنسـانى نبيـل .

ومن هـذا الفيض العبقرى الذى يمـلأ بطون الكتب نجتزئ ببعض من شـعر قيس بن ذريـح ، محاولين من خـلاله الكشـف عن مأسـاته ، وعن تدلهـه وحسـراته .

ونحن إذ نتصدى لهذا إنما نقصه كما قصته المصادر التى حفظت الروائع ، وصانت أبكار الأفكار ، ورويت عنعنة تما روى كل تراث الأمة ، وإن جر عليها الاتهام بالوضع والانتحال ، على أن ما نقصه — وإن قل — فيه ما فيه من شيم العرب ، وقيم حياتهم ، فيه ما تعودوه وما ورثوه عن آبائهم .

ومن الشىء اللافت — وما أكثره — أن هؤلاء الأدباء الشعراء يخرجون بنات ألبابهم فى لوحات فنية رائعة تخلب اللب ، وتستحوذ على سويداء القلب ، لوحات يرسمونها ببدائع الكلام ، وألسنة الأقلام ، وحيث يراها الذين يرسمون صورهم بالفرشاة والألوان ، يقفون مأخوذين متحيرين ، ولا غرو ، فالصور التى رسمتها الألفاظ قد عجزت الفرشاة عن أن تظهر جوانبها على بساط الواقع كما أبرزتها الكلمات ، وذلك ما أكثره فى أدب العربية الطارف منه والتليد .

وقيس بن ذريح الكنانى هو الشاعر العاشق وأحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، أخو بنى ليث بن بكر بن كنانة ، أنشد له ابن حبيب فى كتاب تسمية شعراء القبائل :

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى
أحاذر من لبنى ، فهل أنت واقع(١)

كان يسكن بادية الحجاز ، وأنه كان رضيع الحسين ابن على — رضى الله عنه — أرضعتهما أم قيس(٢) .

وقد اشتهر قيس بحب لبنى بنت الحباب الكعبية ، وهو من شعراء العصر الأموى ، ومن سكان المدينة . وأخباره مع لبنى كثيرة جدا ، وشعره عالى الطبقة فى التشبيب ووصف الشوق والحنين(٣) .

وقيس بن ذريح جزء من ظاهرة العشق والحب العذرى التى انتشرت وذاعت وكثر شعراؤها فى عهد بنى أمية .

وهذا الشعر العذرى المتميز بالعاطفة القوية المتفجرة المشبوبة ، والمشحونة بهيام الشاعر بمن أحب ، وكل أمانيه مجرد حظوة بوصل لا تشوبه أى متعة حسية جلت أو هانت ، هذا الشعر بخصائصه تلك لم يكن للشعر الجاهلى عهد به ، وجل ما نراه أو نعرفه عن غزله أنه يمجد

---

١ — المؤتلف والمختلف مع معجم الشعراء ص ١٢٠ ، ط. القدس.
٢ — شرح شواهد المغنى ص ١٨٣ .
٣ — ٦٢٨/٢ من الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط. دار المعارف سنة ١٩٨٢ ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، وانظر الأعلام للزركلى « قيس » ، وفى ١٠٧/٨ — ١٢٩ من الأغانى ترجمته المطولة .

المتعة الحسية ، ويكثر من ذكر الفرص التى أتيحت فأتاحت المجون (٤) .

والشعر العذرى ، شعر العشاق المتولهين ، كانت أرضه الخصبة فى نجد وبادية الحجاز ، ففى هذين الموطنين تغلب الغزل العاطفى وظهر استجابة للتقاليد العربية التى كانت تسود البوادى ، وحيث كانت روح الاسلام لم تزل تؤثر وتقود .

وعلى حين اتجهت البادية بشعرائها الى الانصراف عن الحياة الماجنة اللاهية ، انصرفت الحواضر بشعرائها الى الترف وتلبية مطالب الدنىء من الغرائز ، وخير مثال على ذلك ، ما يصوره عمر بن أبى ربيعة وشعره .

وليس بخاف أن بنى أمية قد أدركوا ذلك الاتجاه فنموه بما كانوا يغدقونه من مال على المدينة والحجاز . وفى أماكن أخرى كان إحياء النعرات القلبية وتشجيع الشعراء الذين لهم شىء فى هذه التوجهات (٥) .

---

٤ ـ تاريخ الشعر العربى للبيهقى ص ١٤٧ ـ ١٦٦ ، ط. دار الكتب ، ١٩٥٠ ، الحياة العاطفية ، د. غنيمى هلال ، ص ٢١ وما بعدها بتصرف ، ط. نهضة مصر ١٩٧٦ ، وانظر الرافعى تاريخ آداب اللغة ٣/١١٠ وما بعدها ، ط. أولى .

٥ ـ انظر تاريخ الآداب العربية ص ١١٩ وما بعدها ، للأستاذ كارلونا لينو ، ط. دار المعارف ١٩٧٠ .

بداية المأساة

يقول الرواة فى مصادرهم (٦) :

حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، حدثنى الزبير ابن بكار ، حدثنا عبد الجبار بن سعيد عن محمد بن معن الغفارى عن أبيه ، عن عجوز لهم يقال لها حمادة بنت أبى مسافر ، قالت :

جاورت آل ذريح بقطيع لى ، فيه الرائمة وذات البو ، والحائل والمتبع (٧) ، وكان قيس ينظر من شرف الى ذلك القطيع ، وينظر الى ما يلقين فيتعجب (٨) ، فقل ما لبث حتى

---

٦ ـ ١/٢٣٧ مجالس ثعلب ، ط. المعارف ١٩٦٩ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٨٣ ، شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ط. البهية بمصر ١٣٢٢ هـ .

٢/٨٥ ـ أمالى القالى ، ط. الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ .

٢/٦٢٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

٨/١٠٧ ـ ١٢٩ ـ الأغانى ، ومواطن أخرى على مدى الكتاب ، وفى غير هذه من المصادر ، لكن مع اختلاف فى الروايات ، وفى الاسهاب والاقتضاب .

٧ ـ الرائمة : العاطفة على ولدها ـ والبو : جلد ولد الناقة « وغيره » يحشى تبنا أو ما يشبهه إذا مات لتعطف عليه « عند الحلب » ـ والحائل : التى لم تحمل ـ والمتبع : ذات الولد يتبعها .

٨ ـ اثار عجبه ولفت أشواقه ما يلقاه القطيع على اختلافه من رعاية وعطف .

عزم عليه أبوه بطلاق زوجته لبنى ، فكاد يموت . ثم آلى أبوه : لئن أقامت لا يساكن قيساً ، فظعنت ، فاندفع قيس يقول :

أيا كبدا طارت صدوعا نوافذا
ويا حسرتا ماذا تغلغل فى القلب

وفى رواية القالى(٩) :

حدثنا أبو بكر الأنبارى قال : حدثنى عبد الله بن خلف الدلال ، قال : قال محمد بن زياد الأعرابى : لما ألح ذريح على ابنه قيس فى طلاق لبنى فأبى ذلك قيس ، طرح ذريح نفسه فى الرمضاء وقال : لا والله لا أريم(١٠) هذا الموضع حتى أموت أو يخليها ، فجاءه قومه من كل ناحية فعظموا عليه الأمر ، وذكروه بالله وقالوا : أتفعل هذا بأبيك وأمك ! إن مات شيخك على هذه الحال كنت معيناً عليه ، وشريكاً فى قتله ، ففارق لبنى على رغم أنفه ، وقلة صبره ، وبكاء منه حتى بكى لهما من حضرهما ، وأنشأ يقول :

٩ — ٨٥/٢ .
١٠ — لا أريم : لا أبرح . قاموس .

أقول لخلتى فى غير جرم
ألا بينى بنفسى أنت بينى
فواللـه العظيم لنزع نفسى
وقطع الرجل منى واليمين
أحب إلى يا أبنى فراقى
فبكى للفراق وأسعدينى(١١)
ظلمتك بالطلاق بغير جرم
فقد أذهبت آخرتى ودينى

وهذا الحب العنيف وما أحاط به ، يبدأ — كما أخرج صاحب الأغانى من طرق عدة — بأن قيساً مر لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خزاعة والحى خلو ، فوقف على خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية ، فاستسقى ماء فسقته وخرجت إليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء(١٢) ، حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه ، وشرب الماء ، وقالت له — : أتنزل فتبرد عندنا ؟ قال : نعم ، فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفى قلبه من لبنى حر لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروى ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد

١١ — أسعدينى : أعينينى .
١٢ — الشهلاء : المرأة النصف العاقلة .

وجده بها فسلم وظهرت وردت سلامه ، ولحقت به ، فشكا إليها ما يجد من حبها . فبكت وشكت إليه مثل ذلك ، وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه ، وانصرف قيس الى أبيه فأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها فأبى عليه ، وأراده أن يتزوج باحدى بنات عمه ، لأنها — فى رأيه — أحق به ، وقد دفعه ذلك ما كان عليه من غنى خشى أن يذهب الى غريبة .

انصرف قيس وقد ساءه ما سمع أيما إساءة ، فشكا الى أمه واستعان بها فلم يجد عندها عوناً ، فأتى رضيعه الحسين — رضى الله عنه — فشفع له عند أبى لبنى وقال له : جئتك خاطباً ابنتك لقيس ، فقال : ما كنا لنعصى لك أمرا ، ولكن لابد من أن يخطبها له أبوه ، وإلا كان عاراً علينا ، ثم انتهى الأمر بزواجهما .

كان قيس أبر الناس بأمه ، ولكنه تلهى بلبنى إلا قليلا ، وخاطبته أمه فى ذلك فلم تر للكلام موضعا .

مرض قيس مرضاً شديدا ، ولم تكن له ذرية ، فلما برأ رأت أمه أن يتزوج بغير لبنى حتى لا يذهب ماله الى الكلالة ، وكذلك رأى أبوه ، فقال قيس : لست متزوجا

غيرها أبدا ، ولا أسوؤها أبدا ، ثم كان أمر أبيه له بطلاقها (١٣) .

يقول ابن قتيبة : وكانت لبنى تحته ، فطلقها ، ثم تتبعها نفسه ، واشتد وجده بها ، وجعل يلم بمنزلها سرا من قومه ، فزوجها أبوها رجلا من غطفان ، وعاود قيس زيارته إياها الى أن شكاه أبوها الى معاوية فاهدر دمه فقال :

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها
مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينى من دائم البكا
ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى
الى الله أشكو ما أكن من الهوى
ومن حرق تعتادنى وزفير
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا
ولكنما الدنيا متاع غرور (١٤)

لقد طلقت لبنى على رغم من قيس . فلما بانت منه

---

١٣ — انظر ما ذكرناه من المراجع السابقة . وقد تصرفنا فى النص بعض تصرف .

١٤ — الشعر والشعراء ٦٢٨/٢ ، ٦٢٩ .

استطير عقله ، وذهب لبه ، ولحقه مثل الجنون ، وأسف ، وجعل يبكى ، ولما رحل بها أهلها سقط مغشيا لا يعقل ، ثم أفاق ولم يأخذه بعدها قرار .

وإزاء هذه المحنة لم يتركه قومه ، ولم يغفل عنه طبيبه ، ولقد نصحه بأن يتسلى عنها بذكر مساوئها ومعايبها ، وما تعافه العين منها من أقذار بنى آدم ، فإن النفس حينئذ تتبو وتسلو ويخف ما بها ، فلم يزده ذلك إلا تولها وتلهفا وحزناً ، فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً

وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثلما

على ألف شهر فضلت ليلة القدر (١٥)

وهذا موح بأن قيساً قد تملكته لبنى ، وأن كل محاولة يراد بها صرفه عن تذكرها ستئول الى الفشل حتماً ، أما طلاقها فقد وقع على الرغم منه — كما سبق — وتحت وطأة إلحاح الناس واستدرار عطفه على أبيه وأمه ، وذلك — على ما يبدو — أنساه فى لحظة سوداء حبه وعواطفه ،

١٥ — شرح شواهد المغنى ص ١٨٤ .

فنطق بما لم يكن على وعى تام به ، نطق بطلاق لبنى ، وذلك ما فجر كوامن قلبه ، وأنطقه بشعر عذب سلكه فى سلك العشاق المتيمين ، والعذريين المتهالكين المتولهين ، وربما حمل عليه شعر فى ابنى لم يقله ، ولكنه عذب كعذوبتها ، وجميل لا يليق إلا بلبنى ، ومثير للعواطف الرقيقة النبيلة كشعره تماماً ، وهذا ما دعا الجاحظ لأن يقول : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل فى ليلى إلا نسبوه الى المجنون ، ولا شعرا هذا سبيله فى لبنى إلا نسبوه الى قيس بن ذريح (١٦) .

وهذا الأمر ونظائره قد تنبه له أولو العلم ونبهوا الى شعر الشعراء الذى تناولوه حقاً ، والشعر الذى حمل عليهم ، بل لقد استخرجوا من بين الأبيات والقصائد أبياتاً وقالوا : هذه ليست من شعره ، وهذه لفلان .

ومهما يكن من أمر فإن المصادر التى أمدتنا بمأساة قيس مصادر موثقة موثوق بها ، اللهم إلا فى بعض الروايات المختلفة التى قد تخلق اضطراباً ،وهذا لا نراه من العيوب فى أمة أمية حفظت تراثها بهذه الطريقة الى أن أتيح لها سبيل التدوين .

(١٦) ٧/٢ — الأغانى ، ط. الهيئة المصرية للتأليف .

تقول المصادر : انقضت عدة ليلى ، وأرادت الشخوص الى أهلها ، وأتيت براحلة لتحمل عليها ، فلما رأى ذلك قيس داخله أمر عظيم ، واشتد لهفه ، وأنشأ يقول (١٧) :

بانت لبينى فأنت اليوم متبول

وإنك اليوم بعد الحزم مخبول

فأصبحت عنك لبنى اليوم نازحة

ودل ابنى لها الخيرات معسول

هل ترجعن نوى لبنى بعاقبة

كما عهدت ليالى العشق مقبول

وقد أرانى بلبنى حق مقتنع

والشمل مجتمع ، والحبل موصول

فصرت من حب لبنى حين أذكرها

القلب مرتهن والعقل مدخول

أصبحت من حب لبنى ، بل تذكرها

فى كربة ففؤادى اليوم مشغول

والجسم منى منهوك لفرقتها

يبريه طول سقام فهو منحول

كأننى يوم ولت ما تكلمنى

أخو هيام مصاب القلب مسلول

---

١٧ — ٨٦/٢ — أمالى القالى .

استودع الله لبنى إذ تفارقنى

عن غير طوع ، وأمر الشيخ مفعول

ولم يكن هذا بكاف فى التعبير عن وجده ، والتدليل على مقدار حبه ، بل راح يقبل موضع رجليها من الأرض ، وقد دفع ذلك بقومه الى لوم أبيه وتعنيفه على فعلته ، فقال : قد جنيت عليك يا بنى ، فقال له قيس : قد كنت أخبرك أنى مجنون بها فلم ترض إلا بقتلى . فالله حسبك وحسب أمى !. وحين أقبل قومه يلومونه على تقبيله التراب قال :

أمس تراب أرضك يا لبينى

ولولا أنت لم أمس ترابا

فما حبى لطيب تراب أرض

ولكن حب من وطىء ترابا

فهذا فعل شيخينا جميعاً

أرادا لى البلية والعذابا (١٨)

وفى مجالس ثعلب (١٩) أن قوم لبنى حين أتوا يحملونها بعد طلاقها وانقضاء عدتها ، سأل قيس : متى هم

---

١٨ — المصدر السابق والصفحة — بتصرف .

١٩ — ٣٨/١ ، مجالس ثعلب .

خارجون فقيل له : إن الخروج غدا أو بعد غد .
فاندفع قائلا :

فإنى لمفن دمع عينى بالبكا
حذار الذى لما يكن وهو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن
فما كنت أخشى أن تكون منيتى
بكفى إلا أن ما حان حائن

وتتوالى عواطف قيس متدفقة حرى ، تصور مصيبته وما حل به ، وتشخص حياته وتكالب الهموم عليه ، فمرة يبكى ويبكى من حوله ، ومرة يندم ويعتذر ويتمنى ، وهكذا وهكذا ، وهو فى كل قول تجده يحسن إحساناً يضع أيدينا على مدى صدقه ووجده ، وعلى إخلاصه فى ذلك والتهاب حبه .

أما والنصوص التى بين أيدينا يفاضل بعضها بعضا ويفاخر ، فإنه من الحق علينا أن ننعم النظر فى قطوف منها . عسى أن نجلى معنى ، أو نجنى ثمرا .

ونبدأ بتلك الأبيات السابقة ، والتى قالها لحظة إخباره

بدنو رحيل لبنى ، واستهلها بقوله : وإنى لمفن دمع عينى .. الى آخر الأبيات .

لقد هاله هول المفاجأة ، وكأنه لم يشعر بها شعورا حقيقياً إلا الآن ، أفكان غارقا فى أحلامه ، ناسياً ما بدر منه ، مستأنساً بقرب لبنى ، ثم صحا على ماهو كائن وحائن ؟ لقد نراه كذلك ، وعندئذ استجاب له وجدانه فبدأ يكشف عن مخبوء صدره ، ومكنون مشاعره ، ثم ما سوف يلاقيه بعد ذلك الحدث الجلل الذى لا يستطيع حمله ، ولا يقوى على رد غوائله أو مقاومته ، ولقد رسم لذلك صورة لها جمالها وقوة تأثيرها .

أما تأثيرها فيتضح من عزمه على إفناء دمعه ، ولاسبيل الى ذلك إلا بالبكاء الحزين والتفجع على بين لبنى ، فذلك شىء لم يكن فى حسبانه أبدا ، وأنه لم يكن يتوقع أن سيهلك نفسه بنفسه ، ولا أن يسلم أمانيه لجلاديه ، إنهم كذلك لأنهم أرغموه على أن يفارق لبنى كارهاً متهورا .

وأما جمالها فيمثله ذلك الافتتاح بالفاء الموحية بتوفز حسه ، وسرعة تلبيته واستجابته ، ولهذا ماله من دلالة على أن شيئاً لم يكن يشغله ، وإنما كل شغله وهمه قد انحصر فى لبنى .

ولقد تأكد لنا ذلك من توكيده « إنى لمن » وتأكد كذلك من التكنية عن مرارة الفراق ، وحرارة الابتعاد بإفناء الأدمع .

ويبدو أن قيساً كان يتوجس خيفة ، ويتوقع وقوع الكارثة ، أوحى إليه بذلك ما كان يراه من بوادر أبيه وأمه ، ومطلبهما الذى كشفا عنه بعد أن كانا — على ما يظهر — يشيران إليه إشارة ، ومن ثم يلخص ذلك كله فى قوله :

حذار الذى لما يكن وهو كائن

وأدق من ذلك وأبين فى الكشف عن توجسه وتوقع ما يخافه ، استعماله « لما » التى من خصائصها أن منفيها مستمر الى الحال ، ولا يكون منفيها إلا قريبا من الحال ، وأنه متوقع ثبوته (٢٠). فاستعمالها هنا إذن دقيق ومصور للمراد ومنبىء عنه .

وفكرة الطلاق أو البين والفراق تبدو مسيطرة عليه ومهيمنة ، فلقد طوى سؤاله عن موعد ارتحال ركب لبنى ، وطى السؤال لا يشى بنسيانه ، فأمر هذا الحدث قد امتلك عليه أحاسيسه ، واستحوذ على لبه ، يتضح ذلك فى حيرته

---

٢٠ — ١/٢٧٨ ، ٢٧٩ مغنى اللبيب لابن هشام — تحقيق الشيخ محيى الدين « لما » .

ودوران عينيه ، وكأنه لمح منكرا لتحيره هذا فأبان له عن سبب من أسبابه فقال :

وقالوا غدا ، أو بعد ذاك بليلة

فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وذلك هو أس دائه ، ودافعه الى استمرار بكائه .

ومعروف أن الحبيب المفارق هو لبنى ، سواء نكر أم عرف ، ولكن التنكير هنا للحبيب مقصود لذاته ، لأنه حبيب متفرد ، وتفرده فوق التعيين بذكر اسمه العلم .

وليس من شك فى أن المتتبع لخيوط مأساة قيس ولبنى يدرك مدى السعد الذى أحاط بدايتها ، ثم يقف على الأسى والأسف الذى اكتنف نهايتها .

ونعيم بدئها نظرا لتزاحمه وتراكمه لم يكن أحد ليتوقع له نهاية مأساوية ، فكيف بقيس الذى عاش النعيم وتمرغ فى أحضانه ! لقد كان يستبعد أن تخطر أو تدب إليه خاطرة فراق ، فضلا عن أن يكون هو السبب المباشر فى حدوث بليته ، وإهلاكه نفسه بنفسه ، ولكن ذلك ما وقع فعلا ، وهو ما كشف عنه فى قوله :

فما كنت أخشى أن تكون منيتى

بكفى إلا أن ما حان حائن

وإذا حان الحين حارت العين .

ولنا أن نتأمل جمال العربية وإبداعها حين تجرى على ألسنة أولى الطبع ، وتتواءم مع فصاحتهم ، عندئذ نجد الحروف تتعانق لتكون لفظة ، والألفاظ تجتمع وتتوافق لتكون جملة ، وهكذا حتى نرى صورا قد اتسق فيها المبنى مع المعنى ، وأخرج من جلال التصوير وسيقى شجية عذبة ، كل هذا يتضافر ويتساند ، فتتضح من خلاله مقاصد الفصحاء ، ومرادات البلغاء .

ولقد يشير الى ذلك قوله : « فإنى لمفن » حيث يدلنا على الاصرار والاسراع بخطا حثيثة الى إفناء دمعه ، ونلحظ فى « مفن » ما يشف عن السرعة والعجلة صوتا ونطقا . أما « البكا » فإنه طويل الزمن ، ولذا كان التعبير عنه بما يوحى بذلك الطول ، وناهيك بهذا إذ رجع المقصور الى أصله الممدود « البكاء » فهنالك يمتد زمن النحيب ويكون أطول وأقسى .

وهذا الكلام منطبق تماماً — إذا أردنا — على قوله : يكن ، كائن ، بين ، بائن — حان ، حائن — إذ كلها قوافٍ تنم عن وجد ممض ، وشقاء بغير إنتهاء .

هذا ما اختطه ورسمه حين أخبر بميعاد ظعنها ، أما وقد بانت ورحلت ، أما وقد حملها أهلها الى حيث ينزلون ويحلون ، فإنه يسارع ليرسم صورة أخرى لمأساته تلك فيقول :

أيا كبدا طارت صدوعا نوافذا

ويا حسرتا ماذا تغتل فى القلب

فأقسم ما عمش العيون شوارف

روائم بو حانيات على سقب

تشممنه لو يستطعن ارتشفنه

إذا سفنه يزددن نكباً على نكب

رئين فما ينحاش منهن شارف

وحالفن حبساً فى المحول وفى الجدب .

بأوجد منى يوم ولت حمولها

وقد طلعت أولى الركاب من النقب

وكل ملمات الدهور وجدتها

سوى غرقة الأحباب هينة الخطب

إذا افتلتت منك النوى ذا مودة

حبيبا بتصداع من البين ذى شعب

أذاقتك مر العيش أو مت حسرة

كما مات مسقى الضياع على ألب(٢١)

هذه الصورة تعود بنا الى حمادة بنت أبى مسافر وقطيعها الذى كانت ترعاه فى الكلأ ، ويرعاه قيس من شرف ، ويتعجب لما يرى ، ثم مما يجده هو فى نفسه .

وهذه الصورة الشعرية الشاعرة ذات زوايا محددة ، ومعالم واضحة ، وألوان أسرة . قطيع من الماشية ذو شكول ، وجميعه يحنو حنوا على بو ، ويبدى حسرة ،

---

٢١ — ١/٢٣٧ ، ٢٣٨ مجالس ثعلب . والصدوع : الشق او التفرق . ونوافذ : يعنى به أن الشقوق نفذت فى كبده الى أعماقها — والحسرة : اشد الحزن . وتغلغل : دخل وتمكن . وعمش العيون : ما سال دمع أعينها وضعف إبصارها . والسقب : ولد الناقة الذكر ساعة يولد . والرشف : الاستقصاء فى الشرب حتى لا يبقى شىء من المشروب . وسفنه : شممنه ، من سافه يسوفه سوفا ، شمه فى دنو منه . والنكب : النكبة والمصيبة . ورئمن : عطفن . وما ينحاش : ما يمتنع . والشارف : المسن من الدواب . والمحل والحدب بمعنى ، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض . والنوى : البعد ، والناحية يذهب إليها . وافتلتت : اخذت فجاة دون تردد . والتصداع : التفريق . والبين : الفرقة . والشعب ، كالمنع : الجمع والتفريق ، والاصلاح والافساد ، والصدع والتفرق ، والضياع . كسحاب : اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يحرك . والألب : العطش ، ونشاط الساقى . — قاموس ووسيط — .

وتاكله حرقة ، وعلى جانب من مرعى هذا القطيع ، وفى شرف من المكان ، صب مدله مفارق ، قد فعل به الحب والفراق كل الأفاعيل ، يرنو الى ذلك القطيع من شرفه ، ويرى ويلمس ما بها من وجد ، وهذا على شدته وحرارته لا يدانى وجده ، ولا يقارب همه وقد خرجوا بلبنى راحلين نازحين ، فما مصيبة كمصيبته ، ولا نازلة كتلك التى نزلت به . يكشف عن ذلك قوله الذى لم يقل الناس مثله فى معناه (*) :

وكل ملمات الدهور وجدتها

سوى غرقة الأحباب هينة الخطب

فكأنى به يرد لوم مليم ، أو يوضح أسبابه الداعية الى حالته التى يرى عليها فيلام ، وذلك بين جدا فى هذا البيت وما تلاه من أبيات .

قلنا : هذه صورة شاعرة ، وذات معالم واضحة ، وهى فوق ذلك قد تحلت بأشكال وألوان من حلى البيان ، وفى كل لون وشكل نرى جزئية فى البناء تنضم إليها أخرى ثم أخرى حتى يتكامل البناء التصويرى الكلى فى داخل الاطار العام .

فهو فى ندائه الكبد صورة ، ولكنها لون أو جزء فى داخل الصورة الكبرى أو الكلية ومثيلها فى ذلك محاولة

(*) ص ١٨٣ ، شرح شواهد المغنى .

الشوارف ارتشاف البو ، وظهور الأسى والحزن عليها حين تتشممه ، وافتلات النوى واستلابها ذا مودة . فى هذا وفى غيره من الصور مالا يخفى ، وهى مجتمعة تكون صورة كبرى تحكى حال القطيع ، وفى جانب آخر نرى صورة ممتدة أيضا تضمنها التشبيه ـ الضمنى الموازن بين حال الشاعر وحال القطيع .

على أن ذلك ما تكشف عنه السطور ، أما ما بينها ، أما ما يدور بخلدنا ونتصوره بين السطور فشىء قد يوازى ذلك أو يفوقه ويفوته .

وبعد ذلك أو قبله لابد من التأمل فى جمال التعبير وما يوحى به من خيال وجلال ، إن الشاعر قد بعث فى الكبد حياة وناداها ، ولأنها كبده هو التى تحمل ما تحمل من هموم لا طاقة لغيره ولغير كبده بها ، ناداها منكرة . فهى ذات أوصاف بينة ، وفى كونها كبده كفاية وضوح وبيان ، وتنكيرها إذن تعظيم ورفعة مكانة ، لقد ناداها على أنها حى عاقل ، ثم أخرجها تطير فزعة متصدعة ، وكل صدوعها غائرة نافذة ، فقد أصابت الأعماق منه ، لا أنها صدوع على السطوح ، وكل هذا فى الحقيقة قيس وما يعانيه . ولكنه آثر أن يعبر بجزئه ، أى كبده ، عن

كله ليكون التأثير أشد ، والتأثر أقوى ، والتعبير عن النفس بالكبد ، موطن الحرارة ، أجل تعبير ، وأشد من ذلك تعبيرا وأقوى بياناً إضافته الحسرة الى نفسه « ويا حسرتا » فأبدل الألف من ياء الاضافة (٢٢) .

وهذا التحسر وما تلاه من استفهام ، دال على التهويل وتعظيم الخطب ، وإبداء الحيرة والذهول ، وهذا هو الذى تغلغل فى القلب .

على أن موازنة حاله بحالة القطيع مؤذنة بتضاعف الألم ، وتكالب القلق ، فإن هذا القطيع قد وجد من الحقيقة رسماً ، لقد وجد البو فتلهى به وتسلى ، فأنى لقيس بمثل ما لهذا القطيع ! بل أنى له بمن يرعاه ويحنو عليه كما يحنو القطيع على البو ، وكما تحنو حمدة على قطيعها ! لقد بانت لبنى ، ومعها بان كل شىء جميل ، فلم يبق له إلا التوجع والتفجع أبدا ، ويزداد ذلك كلما عاودته الذكرى .

ولقد يرينا من نفسه رجلا مجرباً ، عركته الحياة وعركها ، وتصارع والدهر ، بل إنه لطول تجربه

---

٢٢ ـ انظر تفسير قوله تعالى : « **يا أسفى على يوسف** ... » فى الكشاف لجار الله الزمخشرى .

رما يصيبه منه لا يسميه دهرا واحدا ، بل دهورا ، وهذا الدهر أو الدهور عرف كل موجع فيها ، وجرب عن كثب كل ملماتها ، فلم يجد فيها أنكى ولا أقسى من أن يفارق الحبيب من يحب ، وإذا كان هذا شأن المحبين ، فإن شأن لبنى وقيس ذو خصوصية وتميز ، لأنه حب تغلغل فى قلبه ، وتصدعت من وقع البين كبده .

ومن المعروف المعلوم أنه فارق لبنى ، أو فارقته بعد أن طلقها ، ولكن إرغامه على هذا الطلاق والفراق ضاعف أحزانه ، وحمله على أن يعود منزلها كى يبكى ويندب فيه حوله كما يشاء ، فإذا ما لامه اللوام على ذلك ازداد إصرارا على ما يبغى ، وقد أصبحت بغيته فى أن يزور الأماكن التى كانت أقدامها تطأ ترابها ، وأن يقبل هذا التراب وقد يتمرغ فيه (٢٣) ، على الرغم من أنه المنعم المدلل ، ولكنه الحب ، وبخاصة العذرى منه ، إنه يرقق المشاعر ، ويجعل من صاحبه رءوفا لين الجوانب (٢٤) .

---

٢٣ ـ انظر الأبيات التى سبقت ، وفيها يقول : امس تراب أرضك يا لبينى ـ وانظر ٨٦/٢ من الأمالى .

٢٤ ـ انظر فى ذلك آراء ابن حزم المتناثرة فى « طوق الحمامة » وخاصة باب علامات الحب ص ٢٧ وما بعدها ، ط. المعارف ١٩٨٥ بتحرير د/ الطاهر مكى و ص ١٣ ، ط. المدنى ١٩٧٥ بتحقيق د/ الخفاجى وآخرين .

وندأوه لبينى فى قوله : أمس تراب أرضك يا لبينى . لا يوحى ببعدها عنه إلا بمقدار ما يتراءى لسواه ، أما هو فلبنى فى سويدائه أبدا ، وتصغيره إياها يدل على ملاحتها ، ودلها ودلالها ، ويوحى بعذوبة الحياة التى ذاقا نعيمها معا ، ولهذا يزور ديارها ، ويمس تراب أرضها ، ويستعيد ماضيا كانت لبنى فيه زهرة روضه ، وبهجته ويسر حياته .

وكأنى به يلاحقه اللوم ، ويراد منه التسلى والسلو ، ولذا نراه يقول :

كيف السلو ولا أزال أرى لها
ربعا كحاشية اليمانى المخلق
ربعا لواضحة الجبين غريرة
كالشمس إذ طلعت ، رخيم المنطق
قد كنت أعهدها به فى عزة
والعيش صاف والعدى لم تنطق
حتى إذا نطقوا وآذن فيهم
داعى الشتات برحلة وتفرق

خلت الديار فزرتها وكأننى

ذو حية من سمها لم يعرق (٢٥)

ولعل الوهلة الأولى تفهم أن هذه الصورة قد رسمها بعد فترة من رحيل لبنى ، ثم طرو تغير وتبدل على ربعها ، فبدا ربعا خربا ورسوما بالية .

ولكن لماذا لا يكون المكان كما هو ، ولم يطرأ عليه طارىء سوى أن لبنى بانت عنه ، فأصبح فى عينى قيس على الصورة التى صورها ؟ إنها الحقيقة التى تراءت له — فى ظننا — فلم يحد عنها ، وهذه الحقيقة لا تراها الأنظار كما يراها قيس العاشق المصاب بالفراق ، وأوضح ما يدل على ذلك قوله :

خلت الديار فزرتها ... البيت

على أن الملاحظ تركيزه على لبنى فى حديثه ، وأن الدار مهما أصابها أو لم يصبها ، وتغيرت صورتها أو لم تتغير ،

---

٢٥ — ٢٣٩/١ مجالس ثعلب . والسلو والسلوان : النسيان والصبر عمن يفارق ، وطيب النفس بعد المفارقة . والمخلق : القديم البالى . والغريرة : الحسنة الجميلة ، والشابة لا تجربة لها . والمنطق الرخيم : السهل اللين . وذو حية الى آخر البيت : كمن لدغته حية فمات للتو ولم يمهله السم حتى يعرق .

فإن لبنى بجبينها الواضح ، وبحسنها وتلقائيتها وما الى ذلك من أوصافها التى ضمنها الأبيات ما تزال قائمة شاخصة تملأ نفسه ، كذلك ما تقوله العدى ونطلقوا به حتى تحقق الشتات ، كل ذلك يراه فى داخله رأى العين ، ولذلك فهو يعاود الزيارة حتى يتذكر ما قد يند عن ذاكرته وهو بعيد عن هذا الربع .

وهذا التذكر وإن أشعره بلذة الماضى ، فإنه يصيبه بما يصاب به اللديغ ، ولاشك أن ذلك كله يكشف عن نفس متحرقة مضطربة ، وذات متوزعة لا تكاد تلملم شتاتها .

وبعد هذه النظرات فى مأساة قيس ، وبعد القراءة لنماذج من شعره ، نود أن نسجل بعضاً مما لدينا من هذا الشعر ، وكله يفتح شهية الذين يمتعهم النظر المتأمل فى الأدب الخالد ، وأدب الخالدين .

إن الجميل من ذكريات قيس مع لبنى ليعاوده ، ولقد يطربه أو يحزنه ، أما تذكره طلاقها ، وظعنها وفراقها ، فذلك ما كان يضعه فى خصم الآلام وأقساها .

يقول ابن قتيبة : وفى تطليقه لها يقول (٢٦) :

---

٢٦ — ٦٢٩/٢ — الشعر والشعراء . والرداع ، بضم الراء : الوجع فى الجسد أجمع ، او النكس فى المرض . والجداع ، بضم الجيم : مأخوذ من الجدع ، وهو القطع . وبفتح الجيم : الموت ، وهو الأنسب هنا . والغبن : الخداع فى البيع ، ويستعمل فى النقص وضعف الرأى . والبياع ، بكسر الباء : المبايعة .

فواكبدى وعاودنى رداعى
وكان فراق لبنى كالجداع
تكنفنى الوشاة فأزعجونى
فيا للناس للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى
على شىء وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه
تبين غبنه بعد البياع

وطول الفراق ، وتباعد الديار يلجؤه الى كثرة التطير والتشاؤم ، والنطق بما يدل على نفاذ صبره ، فيقول مخاطباً الغراب (٢٧) :

ألا يا غراب البين ويحك نبنى
بعلمك فى لبنى ، وأنت خبير
فإن أنت لم تخبر بشىء علمته
فلا طرت إلا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهم
كما قد ترانى بالحبيب أدور

٢٧ — المصدر السابق والصفحة .

وهذا ما جعل لبنى تنذر أنها كلما ظفرت بغراب كسرت جناحه (٢٨) كأنها لا تريد قيساً أن يعلم شيئا من أخبارها ، ومن ثم تتحقق دعوته على الغربان ، لأنها أكثرت من نصحه ألا يطلقها فيهلكها ويهلك نفسه فلم يستجب ولم يسمع .

ولقد نراه فى لحظة من لحظاته مستكينا ، متوسلا متضرعاً ، معتذرا يطلب العفو والصفح ، ويفشى مافى قلبه من مودات ما يزال يحفظها ويحافظ عليها ، ومن ذلك ما يرويه أبو على القالى رواية عن أبى بكر بن الأنبارى ، عن عبد الله بن خلف عن قيس ، قال (٢٩) :

هبينى امرأ إن تحسنى فهو شاكر
لذاك ، وإن لم تحسنى فهو صافح
وإن يك أقوام أساءوا وأهجروا
فإن الذى بينى وبينك صالح
ومهما يكن فالقلب يا لبن ناشر
عليك الهوى، والجيب ـ ماعشت ـ ناصح

٢٨ — المصدر السابق والصفحة . ٢٩ — ١/٢٣٠ — أمالى القالى — وأهجروا : قالوا الهجر ، وهو الفحش . والجيب الناصح : كناية عن الطهارة والاخلاص . والذى تطوى عليه الجوانح : القلب .

وإنك من لبنى العشية رائح

مريض الذى تطوى عليه الجوانح

ولقد يعزى نفسه ، ويسلى همه فيتأسى بأمثاله من العذريين الذين قتلهم الحب ، وأفناهم الوجد فيقول ، وهى عن ابن الأنبارى أيضاً (٣٠) :

وفى عروة العذرى إن مت أسوة

وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند

وبى مثل ما ماتا به غير أننى

الى أجل لم يأتنى وقته بعد

هل الحب إلا عبرة بعد عبرة

وحر على الأحشاء ليس له برد

وفيض دموع العين يا لبن كلما

بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

ففى كل من عروة بن حزام وعمرو بن عجلان أسوة وقدوة ، فلقد أحبا حباً عذريا وقتلهما الحب ، والذى

---

٣٠ ـ ٢٤٤/٢ ـ امالى القالى . ولعروة ترجمة بطولة فى ١٧٥/٣ من امالى القالى ، وفى ٦٢٢/٢ من الشعر والشعراء ، ولم اوفق الى ترجمة عمرو بن عجلان .

ماتا به هو هو الذى يجده قيس فى قلبه ، إنه الهوى الفتاك ، والحب القتال ، ولئن مات من ذلك لقد مات هذان العاشقان من قبله ، والأسباب التى أماتتهما وستميته عند مجىء أجله واحدة .

وفى بيته الثالث من هذه الأبيات يحصر الحب فى عبرات محرقة تتلوها عبرات ، وفى حر جاثم على الأحشاء ، يسرى فى جميع الأعضاء ولا يجد البرد إليه سبيلا ، وتلك هى سمة الحب الصادق ، وقتيله قتيل هوى ، لا عقل ولا قوة ، كما جاء فى فتيا ابن عباس — رضى الله عنهما — (*) .

وحر الأكباد والأحشاء يزيد من فيض العبرات ، بل يزيد هذا الفيض أكثر أنه كلما رأى معلماً من معالم ديار لبنى بدا له معلم آخر ، وتزاحم هذه المعالم فى وجدانه يضاعف من وجده ، وعلى ذلك فإنه دائم البكاء دقيم على الحسرات . وفى تعبيره بـ « كلما » كاشف عن ذلك ومبين .

---

* ـ ص ٢١ من طوق الحمامة ، ط. المعارف .

وقيس مهما كشف عن سر أو أسرار كانت بينه وبين لبنى ، فإن هنالك ما لا يمكن أن يفشى أو أن يباح به ، بروى ذلك ابن الأنبارى عن أبيه عن قيس ، يقول(٣١) :

لو أن امرأ أخفى لهوى من ضميره

لمت ، ولم يعلم بذاك ضمير

ولكن سألقى الله والنفس لم تبح

بسرك والمستخبرون كثير

وفى أطول قصيدة عينية ، كما يقول القالى ، يبث قيس لواعجه ، ويحكى الذى ألم به ، ويذكر ندما ، ويكيل لنفسه لوماً ، فى هذه القصيدة التى أوحى بها البين ، وأملاها صدق الوجد ، يقول أبو على(٣٢) :

---

٣١ – ١٩٧/٢ – أمالى القالى .

٣٢ – ٣٤٩/٢ – المصدر السابق – عفا : درس . وسرف وسراوع ، وأريك : أسماء مواضع . والتلاع : مسيل ما ارتفع من الأرض الى بطن الوادى ، مفردها تلعة . والدوافع : ما يدفع الماء . وأخياف ظبية : اسم موضع . والمخرف : مكان النزول فى الخريف . والمربع : مكان النزول فى الربيع . وحم : قدر . وجزع الوادى : منعطفه . والخوادع ، جمع خادعة : التى لا تنام . والصفا : الصخرة . والصلد : الصلب الذى إذا أصابه شىء صلد ، أى صوت . والشوائع ، جمع شائعة : الظاهرة . والوامق : المحب .

وأنشدنا أبو بكر بن الأنبارى ، قال : أنشدنا محمد ابن المرزبانى لقيس بن ذريح ، وقرأت جميعها على أبى بكر ، وأنشدنى أحمد بن يحيى بعضها ، وهى أطول كلمة لقيس :

عفا سرف من أهله وسراوع

فجنبنا أريك فالتلاع الدوافع

فغيثة فالأخياف أخياف ظبية

بها من لبينى مخرف ومرابع

لعل لبينى أن يحم لقاؤها

ببعض البلاد ، إن ما حم واقع

بجزع من الوادى خلاء أنيسه

عفا وتخطته العيون الخوادع

* * *

وانشقت العصا : كناية عن تفرق الجمع . وارفض الدمع : سال مع تفرق . ومشت : مفرق . ولم تغنه : لم تغتن ، أو كأنك بدونها لم تحصل على شىء أبدا . وشطت : بعدت . والمستشعر ، الذى يلبس شعارا ، وهو الثوب الذى يلى الجسد . والجوى : الهوى الباطن . والأسى : الحزن . ونكاس روادع : تردعه عن الحركة وترده . ودجا الليل : البس بظلمته كل شىء . والبساط : الأرض الواسعة هنا . وترعنى : تفزعنى . ومطمئنة : ساكنة .

ولما بدا منها الفراق كما بدا

بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع

تمنيت أن تلقى لبيناك والمنى

تعاصيك أحيانا وحيناً تطاوع

وما من حبيب وامق لحبيبه

ولا ذى هوى إلا له الدهر فاجع

* * *

وطار غراب البين وانشقت العصا

ببين كما شق الأديم الصوانع

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى

أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

وإنك لو أبلغتها قيلك اسلمى

* * *

طوت حزنا وارفض منها المدامع

* * *

تبكى على لبنى وأنت تركتها

وكنت كآت غيه وهو طائع

فلا تبكين فى إثر شىء ندامة

إذا نزعته من يديك النوازع

فليس لأمر حاول الله جمعه

مشت ، ولا ما فرق الله جامع

كأنك لم تغنه إذا لم تلاقها

وإن تلقها فالقلب راض وقانع

فيا قلب خبرنى إذا شطت النوى

بلبنى وصدت عنك ، ما أنت صانع

أتصبر للبين المشت مع الجوى

أم انت امرؤ ناسى الحياة فجازع

فما أنا إن بانت لبينى بهاجع

إذا ما استقلت بالنيام المضاجع

وكيف ينام المرء مستشعر الجوى

ضجيع الأسى فيه نكاس روادع

فلا خير فى الدنيا إذا لم توانتا

لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع

* * *

أليست لبينى تحت سقف يكنها

وإياى هذا إن نأت لى نافع

ويلبسنا الليل البهيم إذا دجا

ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع

تطـا تحت رجليهـا بساطاً وبعضـه
أطـاه برجـلى ليس يطـويه مانـع
وأفـرح إن تمسى بخـير وإن يكن
بهـا الحدث العادى ترعنى الروائـع
كأنك بدع لـم تـر النـاس قبلهـا
ولـم يطلعك الدهـر فيمـن يطـالع
فقـد كنت أبكى والنـوى مطمئنـة
بنا وبكم من علم ما البين صانع (٣٣)
وأهجركم هجـر البغيـض وحبـكم
على كبـدى منـه كلـوم صوادع (٣٤)

---

٣٣ ـ هـذا البيت للأحـوص فى ٦٦١/٢ طبقات فحـول الشعراء . وفى ديـوانه ص ١١٨ ، ط. النعمـان بالعـراق ١٩٦٩ ، تحقيـق ، د/ إبراهيـم السـامرائى .

٣٤ ـ ٣٥٠/٢ ـ أمـالى القـالى ـ والكـلوم : الجروح . وشـط الدار : بعـد . وعمـد : قصـد . واختـيرت .. الـخ : أى مضجع من ضاجعك خـير المضاجع . والمـدى : الغـاية . والصرم : القطع والقطيعـة . والصريم : الصـبح لأنـه انصـرم عن الليـل ، والليل كـذلك . وتهـدنه : تسـكنه . والوجبـات : الخفقـات . والمـأق من العين : مايلى الأنف ، واللحـاظ : الذى يلى الصـدغ . والشحوب : الهـزال . والأشاجع : عـروق ظاهـر الكف . والظـؤار ، جمع ظئـر : العاطفة على ولد غيرهـا . والسـواجع : التى تمـد حنينها على جهـة واحـدة . والهيـام بالضـم : داء يصـيب البعـير مثل الحمى فيسخن جـلده ويكثـر شـربه وينحـل جسـمه .

وأعجـل للاشـفاق حـتى يشـفنى
مخـافة شـط الدار والشـمل جـامع
وأعمـد للأرض التى من ورائكـم
لـيرجعنى يومـاً عليـك الرواجـع
فيا قلب صـبرا واعترافاً لمـا تـرى
ويا حبهـا قـع بالذى أنت واقـع

* * *

لعمرى لمـن أمـسى وأنت ضـجيعه
من الناس ما اختيرت عليه المضـاجع
ألا تلك لبـنى قـد تراخى مزارهـا
وللبيـن غـم ما يـزال ينـازع
إذا لم يكن إلا الجـوى فكفى بـه
جـوى حرق قـد ضمنتها الأضـالع
أبائنـة لبنى ولـم تقطـع المـدى
بوصـل ولا صـرم فييـأس طـامع
يظـل نهـار الوالهيـن نهـاره
وتهـدنه فى النـائمين المضـاجع
سـواى فليـلى من نهـارى وإنمـا
تقسـم بيـن الهـالكين المصـارع

ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى

لما حملته بينهن الأضالع

له وجبات إثر لبنى كأنها

شقائق برق فى السحاب لوامع

نهارى نهار الناس حتى إذا دجا

لى الليل هزتنى إليك المضاجع (٣٥)

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى

ويجمعنى بالليل والهم جامع

وقد نشأت فى القلب منكم مودة

كما نشأت فى الراحتين الأصابع

أبى الله أن يلقى الرشاد متيم

ألا كل أمر ثم لابد واقع

هما برحابى معولين كلاهما

فؤاد وعين مقها الدهر دامع

---

٣٥ ـ هذا البيت والبيتان بعده تنسب لابن الدمينة ٩٩/١٧ الأغانى ، ٦٦١/٢ طبقات فحول الشعراء . وفى ص ١١٩ من ديوان الأحوص الانصارى هذا البيت :

وقد ثبتت فى الصدر منها مودة

كما ثبتت بالراحتين الأصابع

إذا نحن أنفذنا البكاء عشية

فموعدنا قرن من الشمس طالع

وللحب آيات تبين بالفتى

شحوب وتعرى من يديه الأشاجع

وما كل ما منتك نفسك خالياً

تلاقى ولا كل الهوى أنت تابع

تداعت له الأحزان من كل وجهة

فحن كما حن الظؤار السواجع

وجانب قرب الناس يخلو بهمه

وعاوده فيها هيام مراجع

أراك اجتنبت الحى من غير بغضة

ولو شئت لم تجنح إليك الأصابع

كأن بلاد الله ما لم تكن بها

وإن كان فيها الخلق ، قفر بلاقع

إلا إنما أبكى لما هو واقع

وهل جزع من وشك بينك نافع

أحال على الدهر من كل جانب

ودامت ولم تقلع على الفجائع

فمن كان محزوناً غدا لفراقنا

فملآن فليبكى لما هو واقع (٣٦)

---

٣٦ ـ الفعل مجزوم بلام الأمر ، ومجيئه بدون جزم ضرورة شعر ، وحذف حرف العلة هنا لا يؤثر على الوزن ، ولكن هكذا وجدناه .

نحن أمام نص شعرى يبدو فيه الطبع واضحاً جلياً ، ألفاظه جزلة ، وعبارته تتحدر سلسة سهلة ، وتجربته أوضح ما تكون صدقا ومعاناة معاشة ، والعاطفة المسيطرة فيه أليمة حرى ، ومتبرمة متحسرة يائسة ، ونفس الشاعر تبدو متوزعة حائرة ، وأفكاره مشتتة شاردة ، يظهر ذلك فى نغمته العالية ، وأوتار عزفه الحادة ، وقلة الترابط والتماسك بين الأبيات كذلك الترابط الذى قال به النقد الحديث ، مقتفياً أثر أرسطو الذى وضعه للمسرحية والملحمة .

ولعل أبرز ما قيل فى عضوية القصيدة حديثا هو : « وحدة الموضوع ، ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيباً تتقدم به القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهى الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدى بعضها الى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر » (٣٧) .

وهذا النص لو أخذناه بتلك المقاييس لتكشفت لنا وحدة الموضوع فيه ، ووحدة المشاعر كذلك ، فليس من بيت إلا

---

٣٧ — د/ محمد غنيمى هلال . النقد الأدبى الحديث ص ٤٠١ ، ط. الشعب ١٩٦٤ وانظر د/ عبد الرحمن عثمان ، معالم النقد الأدبى ١/٥٣ ، ٥٤ ، ط. دار النشر ١٩٦٨ .

وفيه أنة حزن ، وآهة ألم ، أو أمنية بعيدة متعذرة المنال .

وإذا ما بدا بيت أو أبيات تشى بعزاء وتسرية عن النفس فسرعان ما يتشع ذلك ، وتعود الهموم التى أهمته ، ويعود الشاعر الى المستكن فى مشاعره وأحاسيسه . وهى — لاريب — مفعمة بلذع الفراق وشدة وقعه .

نريد الخلوص الى أن شاعرنا قد تحددت مشاعره وتجربته ، فتحدد من ثم موضوعه ، وتمازجا ، وتمازج المشاعر بالموضوع مما يزيد الوضوح وضوحاً ، ويضفى على الجمال جمالا ومتعة .

ومن الجلى أن الشاعر قد اختار البحر الذى يتسع لأشجانه ، وامتداد تأوهاته ، اختار البحر الطويل ، واختار القافية المؤسسة المطلقة ، وهذا قد ساعده على استغراق زمن طويل يتناسب مع صوته وحرق قلبه ، فهل أراد بذلك إيلام نفسه كفاء ما فرطت فى لبنى ؟ إن ذلك ما سيكشف عنه شعره .

وإذا نظرنا الى بقية شرائط النقد الحديث فقد لا نجد مطلوبه ، فليس فى الأفكار ترتيباً منطقياً ، وليست القصيدة

كالبنية الحية ، وليست الأجزاء يسلم بعضها الى بعض عن طريق التسلسل ، فهل نعد ذلك من المآخذ التى تسقط هذا الشعر ، أو تعفى على آثار قائليه ؟

فى يقينى أن القول بهذا إجحاف واختلاق ، فلكل عصر ذوقه ومقاييس نقاده الذى يسير عليه الشعراء والأدباء ، وهذا الذى نحن بصدده ميراث أمة ، وعرف كان يحبذ وحدة البيت ، ويحتفى باستقلال معناه ، ويعيب ما خرج على ذلك (٣٨) .

ولعل هذا منهم كان إيثارا لأن يكون الدفق الشعورى فى الغالب بيتاً ، ويعظمون شأنه إذا ما صار مثلا أو كالمثل (٣٩) .

ونؤكد نحن أن من حق الشاعر أن يقول ما يشاء معبرا عما تجيش به نفسه ، وهو أعلم بمكنونها وخفاياها ، ـ « الشعر كله يعتمد على الألفاظ وتصريفها ، وعلى بناء

---

٣٨ ـ ابن رشيق . العمدة ١/١٧٢ ، ط. دار الجيل ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، ت. الشيخ محيى الديان ، وانظر الخطيب التبريزى . الكافى فى العروض والقوافى ص ١٦٦ ، الخانجى ١٩٧٧ .

٣٩ ـ انظر العمدة ١/٢٨٢ : ٢٨٦ ويتيمة الدهر ١/١٩٨ : ٢١٢ ، ط. حجازى ١٣٦٦/١٩٤٧ .

الجمل ومنازلها من السياق ، وعلى الأواصر الخفية بين الظاهر والباطن (٤٠) .

وهذه الأواصر الخفية يثبت تمثلها تمثلا حقيقياً كما تمثلها المبدع ، وعلى ذلك فكل محاولاتنا حول عضوية العمل الشعرى إنما هى ضرب من الحدس ـ فى رأينا ـ .

على أن الوحدة المنشودة تتحقق بسهولة فى الأعمال القصصية ، وقد وجدنا نماذج ذلك عند القدماء (*) ، وما أكثره عند المحدثين ، ولا نظن ديواناً يخلو من عمل موضوعى تصحى تتضح فيه الوحدة العضوية .

---

٤٠ ـ انظر ص ٢٢٨ من أبو فهر محمود محمد شاكر ، للأستاذ محمود الرضوانى ، ط. الخانجى ١٤١٥/١٩٩٥ .

* ـ انظر ديوان الحطيئة ـ ص ٢٣٦ ، ت. د/ نعمان محمد أمين ط. المدنى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

تحليـــل النـــص

يبـدأ قيس حديثـه البـاكى بالتـأمل فى الأماكن التى خلت من لبنى فصـارت خـرائب ، لأنهـا كـذلك فى ناظـريه مادامت لا تحـل فيهـا لبنى ، وقـد سـرد هـذه المواضع متتالبـة .

ثـم يلجـأ الى الرجـاء ، ورجـاؤه كلـه يحصره فى لقـاء لبنى ، ولا يعيـن مكـاناً لهـذا اللقـاء ، يستوى أن يكـون بأى البـلاد ، أو بجـزع الوادى الذى خـلا من الأنيس فـلم تعـره العيـون انتباهـاً .

وترتفـع الزفـرة ، وتمتـد الذكـرى فيقـول : ولمـا بـدا منهـا الفـراق ... الى أن يقـول :

ولا ذى هـوى إلا لـه الدهـر فاجـع ..

أراد أن يظهـر هـذا الفـراق إظهـارا لا لبس فيـه ، فأتى بالصـورة الكاشفة ، صـورة الصـخور الصلدة الملسـاء وقـد تشققت وشاعت فى كـل أجزائهـا الشقوق ، وهـذا كـلام يوحى بمـا يعانيـه بداخـله ، فكـأن هـذه الشقوق فى قلبـه ، إنـه يراهـا ويحس بهـا وحـده ، تمـاماً كمـا يحس المتـأمل شقوق الصـفا .

وفى قـوله : تمايت أن تلقى لبينـاك ... فيـه عتب ولـوم ، فهـذه الأمنيـة وقعت منـه بعـد فـوات الأوان .

لقـد كانت الأمـانى هينـة طيعـة ، وحينئذ فـرط ولـم يحفـظ ، وعندما صـارت الأمـانى تعـانده وتجافيه راح يتمنى ، مع أنـه على عـلم ويقيـن بأن كـل صـادق فى حبـه ، أو حتى من خـلط حبـه برغبـة ، يعانده الدهـر ، ويفجـؤه ويفجعـه .

وفى قـوله : « لبينـاك » تصغير يدلنـا على ملاحـة لبنى وبرائتهـا التى تشـبه بـراءة الطفـولة ، أمـا الاضـافة فانه موحيـة بأنـه للبنى لا لغيرها ، ولبنى لـه كذلك ، وليس بخـاف مافى الأبيـات من الصـور البيانية الجميـلة ، والتى راوح فيهـا بين التشبيه والاستعارة ، ولقـد يكـون ذلك هـو المعنى الذى بـدا فتيسـر فهمـه ، أمـا معنى المعنى فهـو أجمـل وأعمق وأجـل ، ولا توفيـه حقـه النظـرة العجـلى أو المسطحة .

وحيث إن الأمانى تعـاصى والدهـر يفجـع ، فـإن غـراب البيـن واجـد مبتغـاه ، قـال : وطـار غـراب البيـن وانشقت العصـا ... الى أن قـال : طـوت حـزناً وارغض منهـا المدامع فى هـذا الدفـق يؤكـد وقـع الفـراق ، ويوضح مـدى إيلامه ، فهنـاك كـان كانشقاق الصـفا الصـلد ، وهنـا كشق الأديـم ،

وفى كل شق وإيذان بفراق لا يرجى بعده لقاء ، وفى تكرار غراب البين ما فيه من التشاؤم والخوف .

إن الحب إذا صدق وتعمق واستقر فى القلب أوجد فى النفس وجلا واضطراباً ، ويجعل صاحبه يتوقع ما يمكن ومالا يمكن أن يقع ، وتلك كانت حياة قيس ، يحاذر ويخشى ويتوجس ، ولا يزايله القلق ، وكل الذى خافه وتوقاه قد طار به غراب البين ، طار بحلو أيامه ، ولذيذ أحلامه .

وعلى الرغم مما نعل هذا الغراب ، فإن قيساً يتوجه إليه مخاطباً ، ومتوسلا متمنياً : « هل أنت واقع » بالأرض التى تنزل بها لبنى ؟ تلك أمنية ، وأمنية أخرى : « لو أبلغتها قيلك اسلمى » إذن لطوت أحزاناً كما يطوى السجل ، وكتمت أشجانها ، وأسرت أساها ، وإذا ما سال دمعها وفاض ، وحكى معاناتها وشديد آلامها ، فإنه لا يكشف الأسرار كما يكشف اللسان .

وقوله :

تبكى على لبنى وأنت تركتها ... الى أن يقول :

فلا خير فى الدنيا إذا لم تواتنا
لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع

يمكن أن نجعله مقطعاً متصل الأجزاء والمعانى ، متقارباً فى استعمال العبارة الدالة على المراد .

فهو يبدأ بتأنيب نفسه تأنيباً عنيفاً ، لأنه صانع المأساة طواعية ، وهذا المعنى — اللوم والعتب — يكرره كثيرا ، ولهذا دلالته الواضحة على أنه كان المختار لأمره :

تبكى على لبنى وأنت تركتها
وكنت كآت غيه وهو طائع

والحق أنه لم يكن كآت ، وإنما هو الذى أتى الغى فعلا ، وسعى الى تلك النهاية سعياً ، وهذا ما سوغ له النهى الذى يحمل التحسر والتبكيت أيضا . « فلا تبكين فى إثر شىء ندامة » .

وفى قوله : نزعنه ، النوازع . مبالغة فى شدة الأخذ اغتصاباً ، وأن الذى ألح عليه أن يطلق لبنى أشياء كثيرة ، وليس فقط إلحاح أبيه وأمه .

وفى عبارة تدل على حقيقة ، وتدل على تعزية واستسلام يقول :

فليس لأمر حاول الله جمعه

ه شت ، ولا ما فرق الله جامع

ليس من شك فى أن البيت يحمل قضية مسلمة ، وفيه مطابقات جميلة ، ولكن « حاول » فعل مفاعلة ومشاركة ، ودال على الاحتيال فى طلب الأمور ، والله منزه عن مثله فهل يمكن تضمين هذا الفعل معنى آخر ؟! إن مراجعى لم تسعفنى بشىء من ذلك .

لقد سبق أن تكلم عن إقفار المنازل وخرابها بدون لبنى ، وهذا المعنى يلح عليه كثيرا ، ويلح عليه خلو قلبه من ذرة رضى من غير لبنى :

كأنك لم تغنه إذا لم تلقها

وإن تلقها فالقلب راض وقانع

فما أشبه الديار التى هجرتها لبنى فتحولت يباباً فى نظره ، ما أشبه هذه الديار بمشاعره التى لم تجد لذة ولا غنى ، ولا رضى وقناعة إلا فى لقاء لبنى ، مجرد لقاء .

واضح جدا أن هذا من ضروب تمنياته البعيدة ، ولذلك نراه يقول : فيا قلب خبرنى ... ، ما انت صانع ... ، أتصبر للبين المشت مع الجوى ... ، أم انت امرؤ ... ،

ونقف أمام هذا الأسلوب الذى يمكن أن نفهمه خطاباً

للقلب ، وخطاباً للنفس على طريق الالتفات ، وهو فى كل حال حائر متلفت يمنه ويسره ، يحاول أن يجمع شتات نفسه وقلبه ، وإلا فإن النوى قد شطت ، ولبنى قد صدت ، والبين شتت الألفة ، وبقى هو مع الجوى ، فلماذا يحدثنا عن أمر كأنه مخشى منه ، لا أنه وقع فعلا ؟ ولا نقف هنا عند الصور البيانية ، لأنها بينة ، ونقف عند ألفاظه المحملة بالأسى المض ، والألم المميت .

يقولون : شط ، أى بعد ، ونوى نوى ، أى بعد أيضا ، وعند اجتماعهما — شطت النوى — يفيد التركيب الامعان فى الابتعاد ومجاوزة الحد فيه .

والبين هو الفرقة ، والمشت هو المفرق ، والجوى هو الهوى الباطن ، وفعله يدل على مرض الصدر وضيقه وتطاوله ، واشتداد الوجد من شدة العشق ، فما دلالة اجتماعهما ؟

إن هذا التكثيف للكلمات الدالة على المعانى المتقاربة ، يضع يدنا على ما يحتوش الشاعر ويحتويه من الهموم المتراكمة ، والتى أظلمت سبله فلا يدرى من أين يأتى الطريق التى تهديه الى ما يود ويريد ، أتصبر للبين المشت مع

الجوى القاتل ؟ إنه لا قدرة له على ذلك ، ولا استطاعة . أم أنه سيسيطر عليه الجزع وفقدان الصبر ، وفى ذلك ما فيه من كشف أمره ، وشيوع سره ، والابانة عن ضعفه . ولقد يرمى بنسيان الحياء أو افتقاده .

ولعلنا واجدون تجميعا وتلخيصاً لكل هذه المآسى فى قوله :

فما أنا إن بانت لبينى بهاجع ... الى قوله : ولم يجمع لنا الشمل جامع ..

الهجوع هو النوم ليلا ، والليل موضع السكن ، ومن لم يهجع فى ليله اضطرب نهاره ، وأصابه من التوتر مصاب .

واستقلت المضاجع بالنيام ، ترفعت بهم فأنستهم هموم نهارهم ، ومن ثم اطمأنوا فناموا على جنوبهم .

إنه بطريق يشبه القصر اختص نفسه بعدم الهجوع ، ولكى يزداد المعنى توكيدا أتى بالاستفهام الدال على النفى والانكار ، والنوم يجافى من به هم ، فكيف بمن لبس الجوى شعارا ، والشعار مايلى الجسم من الثياب ، وهذه زيادة أخرى فى توكيد المعنى وتقويته ، ويزيده كذلك أنه والأسى ضجيعان ،

وأن به نكاساً — مرضاً — يعاوده ويمنعه عن رغباته . ويردعه ، أرأيت المريض الذى كلما قارب البرء انتكس ؟ إنه قيس .

ولقد سبق إخباره أن كل دار خلت من لبنى يراها كالصحارى الجرداء ، وهنا تتضح قيمة الدنيا برمتها عنده مادام شمله ولبنى موزعاً مشتتاً .

فلا خير فى الدنيا إذا لم تواتنا

لبينى ، ولم يجمع لنا الشمل جامع .

لقد كرر قيس اسم لبنى الظاهر عشر مرات بين مصغر ومكبر ، أما ذكرها بالمضمر فقد كرره كثيرا جدا ، وهذا التكرار يعمد إليه الشعراء عمدا ، ويتخذونه وسيلة من وسائل التخفيف مما يجدون ، والافراغ لما شحنت به دخائلهم ، يلجأ كل منهم الى ذلك لأن فيه لذته ومتعته وسلوه ، وبخاصة من كان حاله كحال قيس .

ثم ينقلنا وإياه الى عزاء يفترعه لنفسه ، ويذكر له علا مبررة مسوغة ، وعلى الرغم من تبريراته تلك ، ومحاولة تأسيه ، فإنا نجده يعود الى سننه الأول ، باكيا شاكيا ، وعاتبا لائما . يقول :

أليست لبينى تحت سقف يكنها

وإياى هذا إن نأت لى نافع

ثم يذكر ثلاثة أبيات بعد فى نفس المعنى ، ثم يعود الى اكتئابه ، فيقول بعد بيت عاتب ولائم :

فقد كنت أبكى والنوى مطمئنة

بنا وبكم من علم ما البين صانع

الى أن يقول :

فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى

ويا حبها قع بالذى أنت واقع

وفى زعمى أن السقف الذى عناه هو السماء ، لأنها تكنه وتكنها ، فكأنه فى لحظة ما يرى الأرض بيتاً سقفه السماء ، فيرضى بذلك حتى لو بعدت لبنى ، فهو وإياها فى بيت واحد — على حد رؤيته — وتلك إحدى المروحات والمسريات عنه .

وفى واحدة أخرى يرى أن ظلمة الليل الداجى المعن فى سواده على طوله ، تكون له وللبنى بمثابة الثوب ، وكل منهما يلبسه ، وهذا نافع له أيضاً ، فإذا أطل ضوء الصبح مع سطوع الفجر أبصراه معاً ، وهذا مما يجد فيه سلوى .

وهذه الأرض على اتساعها بساط ، تطأ لبنى ما تشاء منه ، ويطأ هو بعضه ، ومع أن هذه الأرض يمكن أن يطا منها ما يشاء أيضا ، فإنه يرضى بالقليل ، وهذا شأنه مع لبنى ، بل شأن العاشقين جميعاً . إنه مطمئن راض بأن يسير على بعض من بساط تسير عليه لبناه ، ومطمئن أيضا وراض لأن هذا البساط لا يطويه طاو ، ولا يمنعه مانع .

لاشك أنها بعدة عنه ، وبعيد عنها جسدا ، ولكنها ملء قلبه وروحه ، يتنسم أخبارها ، فيفرحه الخير منها ، ويرتاع لأدنى حدث يلم بها ، بل إن الروائع تتكالب عليه وتتزاحم ، هذا كله إن كان بها الحدث العادى الذى يقع لكل الناس ، فماذا به لو نزل بها حدث جلل ؟

إنه يجيب عن ذلك بأنه البدع الذى لم يسبقه أحد بما هو فيه ، ولبنى هكذا أيضا ، فما اطلع الدهر عليه ولا عليها كما اطلع على الناس ، وإذن فأمرهما غريب كل الغرابة .

ولأنه برع بين الناس ، كان فعله بدعا مثله ، إذ كان يبكى والنوى نائية مطمئنة ، لا يخشى هجمتها الآن ، ولكنه كان دائم التوقع لمأساة أليمة ، بل يقول : إنه كان على علم بما سيصنعه الدهر ، وبما يخبئه له البين :

فقد كنت أبكى والهوى مطمئنة

بنابكم ، من علم ما البين صانع

لقد سبق إلحاح أبويه لكى يطلقها ، ومر أيضا السبب الداعى الى هذا الالحاح ، إلحاح بالأقوال ، وإلحاح بالأفعال ، وهذه أمور قد أوقعت قيساً فى بلبلة وتشتت ، فحبه لبنى يملك عليه ظاهره وباطنه ، ولأبيه وأمه حقوق ، فإن استجاب لهما طاعة ، قضى على نفسه بالهلاك ، وقضى بذلك على لبنى ، إذن لابد من الاحتيال ، وقد تمثل هذا فى قوله :

وأهجركم هجر البغيض وحبكم

على كبدى منه كلوم صوادع

والهجر هو التباعد والقلى ، والبغيض هو المعن فى المقت والكراهية ، إنه كان يتكلف ذلك ويتظاهر به ، أما حقيقته فإن حب لبنى قد أصاب كبده بكلوم نافذة ، تتشقق منها كبده تشققا ، فظاهر حاله كان على العكس مما يكنه ويضمره .

ويقولون : الاعجال هو الاسراع والسبق ، والاشفاق هو الخوف والحذر ، والرقة والعطف ، والشف والشغف

النحول والدقة فى الصغر . يأتى ذلك طواعية منه ، ويرى فى ذلك ما ينزع منه الخوف ، وينعم عليه بالاطمئنان . يفعل هذا :

مخافة شط الدار والشمل جامع

فهو دائم التشاؤم ، دائم الخوف والوجل .

وألطف شىء كان يفعله قيس أن يدور فى أرض لبنى ، او أرض من يجاورها ، فلعل هنالك من يعلم ما أصابه ، فيعطف عليه ويقوده الى أبيات لبنى ، ومن ثم يحفظ عليه استحياءه ، ويقدم له أمنية هى أعز أمانيه ، يقول :

وأعمد للأرض التى من ورائكم

ليرجعنى يوما عليك الرواجع

والعمد الى الشىء ، القصد والفعل بجد ويقين . فكلمة قيس « أعمد » محملة بطاقة إيحاء جميلة ، ولاشك فى أنه كان يعلم مخاطر ذلك العمد الذى لجأ إليه ، ولعل مغامرته تلك كان يهون عليه ويشجعه على أن يقوم بهذا أمله فى رجعة الى لبنى ، تأتى فى أى يوم ، ولكن فردا لا يكفى أن يرجعه ، ولذا يعمد الى جمع التكسير ، ومن هذا الجمع يمكن أن نستشف شيئا يريد قيس أن يرجع

بوساطته والنـاس ، فليكن الحـب أو بقـاياه ، أو تذكـر العهود التى كانت تربطهما ، وتذكـير اليوم مـوح بطول أمـله وامتداده ، ورضـاه بأن يعـود يومـا ، أى يـوم .

قلنـا : إنـه بين الفينـة والفينـة ، أو بين اللحظة واللحظة يسـيطر عليـه الهـم بعـد أو يقطـع شـوطا فى عـزاء نفسه ، فيعـود الى همـه وحـزنه . يقـول :

فيـا قلب صبرا واعترافا لمـا تـرى

ويا حبهـا قـع بالذى أنت واقـع

فى الأبيـات قبـل هـذا البيت أخـذنا معـه فى معـان دالـة بوضـوح على تجلد وتصـبر ـ إلا قليـلا ـ وهـذا فى الحـق قـد أحـدث فى أنفسنا فسـحة فـرحة ، وفى هـذا البيت الأخـير ننتزعنا انتزاعـاً من ظنـوننا بـه ، وكـأن الكـلام الذى سلف هـو من اللسـان ولا صـلة لـه بالجنـان ، ولا أدل على ذلك من ندائـه قلبـه ، وأمـره بالصـبر والاعتراف بالواقع المـرئى وإن كـان مـرا . ثـم ندائـه حـب لبنى وأمـره بأن ينصـرف الى من يشـاء ، وأن يقـع حيث شـاء ، فبعـد انفصـام العـرى بينـه وبين لبنى ، صـار حبهمـا طليقـا لا قيـود عليـه ، أو هـكذا ظنـه .

ثـم ينقلنـا الى زفـرات متواليات ، وأنـات تزجيها نفس رالهـة مضطربة ، فيـأتى البيت محمـلا بتلك المعـانى ، وربمـا توالى بيتـان أو أكثـر ورابطـة الألـم فيهمـا أقـوى صـلة وتماسكاً ، وقـد تكـون الفـكرة كـذلك ، وأول هـذه الزفـرات قـوله :

لعمـرى لمن أمسى وأنت ضـجيعه

من الناس ما اختيرت عليه المضاجع

ويسـتمر ذلك التوقيـع الى نهـاية القصـيدة .

يقسـم قيس أن الذى يمسى ولبنى تضاجعه لقـد نـال خـير ما يتمنى وينـال .

ولدينـا إحساس بأنـه يتراجع أو يندم على قـوله :

ويا حبهـا قـع بالذى أنـت واقـع

لأن هـذا المضجع الذى هـو خـير المضاجع ما كان يستأهله سـوى قيس ، فكيف إذن يحـير نفسـه ، ويحمـل قلبـه على الخضـوع والرضـا بمـا وقـع ؟.

وفى قـوله : ألا تلك لبـنى ... البيت . إشـارة الى رفعتها وسموها خلقـا وخلقـاً ، والتراخى معنـاه الفتـور والتبـاطؤ والتأخر ، وذلك يوجعـه إيجاعاً ، ولكن أليس هـو ولبنى منفصلين .

ولكل منهما الآن حياة ؟ ظاهر الأمر وواقعه يقولان بذلك ، ولكن المتمعن فى تصرفات قيس ، والمتعمق فى فكره ووجدانه يعلم تماماً أن طيف لبنى لم يغادر أبدا هذا الفكر ولا ذاك الوجدان ، وهذا مبعث إلحاحه واستحضاره صورتها وحياتها معه . فإذا شطت عن خياله ، أو لم ير طيفها فى منامه ، ركبه البين ، واحتواه الغم ، وصار أمره فى تنازع وتصارع أبدا مع البين وغمه ، والغم يحمل فى أطوائه الحزن الذى يستر ويغطى كل شىء .

وقوله : إذا لم يكن إلا الجوى فكفى به ... يؤكد أن جواه لا مرية فيه ، لأن « إذا » فى غالب استعمالاتها دالة على تحقق الوقوع ، وحيث إن الأمر هكذا فلا شىء لديه إلا التقبل والرضوخ .

على أن جواه جوى متميز وذو صفات بارزات ، إنه جوى حرق » والحرق جمع الحرقة ـ بضم الحاء وسكون الراء ـ هى ما يجده الانسان فى وجدانه من الحب أو الحزن ، فانظر هذا التركيز والتكثيف لكل ما يدل على معاناته ، « الجوى » وما يحمله من المعانى ، مضافاً إليه « الحرق » وما توحى به ، وهذا كله محفور محفوظ

فى أضالعه ، وبما أن الجسد يألم كله من ألم بعضه ، فكل قيس فى آلام لا تزول .

وقيس لوقع الصدمة ، وهول النازلة لا يكاد يصدق أو يتقبل ما حدث ، يلح عليه الماضى الجميل فيعيش فيه لحظات ، ويصحو على واقع مر فيكابده ، وبين هذا الماضى وذاك الحاضر يتأرجح ويتذبذب ، يقول :

أبائنة لبنى ولم تتطع المدى
بوصل ولا صرم فييأس طامع

إن بين لبنى ومكثها يتجاذبانه ، فقوله : أبائنة لبنى ، نشف عن عقل متردد بين أن يصدق بالبين أو يكذب ، والأظهر لنا أنه غير مصدق برحيلها ، فكأنه كان يتوقع قولة منها تدل على الهجر المحض أو الوصل المحض أيضاً ، وحيث إنها لم تحزم الأمر ولم تجزم ، بات قيس وأصبح فى ذلك المدى الذى لا يدرك له غاية ، ولا يعرف له نهاية ، أييأس أم يطمع ؟

ومهما اتضحت الصورة عندنا ، ووقفنا على الحقيقة التى لا مرية فيها بين شاعرنا وحبيبته لبنى ، فإن الذى بخلده غير الذى بخلدنا ، وتصوراته غير تصوراتنا ، وذلك هو

الفارق بين أحاسيس الشاعر وأحاسيس الذى يحاول تفسير شعره .

وقوله :

يظل نهار الوالهين نهاره

وتهدنه فى النائمين المضاجع

يقولون : الوله هو الحزن الذى يذهب بالعقل ، والتحير من شدة الوجد ، وهدنه هدوناً ، سكن ، أو خدعه بعهد لا ينوى الوفاء به من سكنه ، وهذا الأخير هو الأكثر ملاءمة لمراد الشاعر .

وسواء أكان الطامع هو أو غيره ، ونهار الوالهين نهاره هو أو نهار غيره ، فالذى يفهم من سياق قصته أن كل الآلام آلامه ، وجميع الأحزان أحزانه ، وتغير الأساليب على طول القصيدة يسوقه قيس على طريق الالتفات .

هكذا يقضى قيس نهاره ، واله ، حزين ، متحير . ذاهب العقل أو مثل ذاهب العقل ، وأوضح ما نرى ذلك فى هذا الشعر المتداخل المعانى ، وهذه الدفقات الشعورية العفوية التى لا تعرف المنطق المرتب ، وأظنها لو كانت كذلك لما نظمت فى منظومة الشعر .

هذا النهار الواله يمنيه ، أو تمنى هو هدنة تريحه مما يعانى ، ولا يعدم الهادنة ، ولكنها مهادنة تتكشف عن خدعة ، فيسارع عائدا الى ما يعوده من حياة الاكتئاب .

على أن الهدنة المريحة ينفيها عن نفسه نفياً ، وذلك قوله المتصل بسابقه :

سواى ، فليلى من نهارى وإنما

تقسم بين الهالكين المصارع

واضح إذن أن المضاجع تهدن سواه ، أما هو فليله من نهاره ، ومادام ليله من نهاره فإنهما — ليله ونهاره — متمازجان تمازجاً لا يتميز منه ليل من نهار .

وبما أن لكل جنب مصرع ، وبما أن الموت واحد ، وإن الذى مات صريع الحب كالذى مات فى الحرب ، كالذى مات حتف أنفه ، وإنما تقسم بين الهالكين المصارع .

وقيس محير ، وشأنه مستغرب ، ومن يقف على بعض أمره تهاجمه أسئلة تتزاحم ، أقلها : كيف يحيا من يحمل تلك الهموم ، ومن لا يعرف سوى انكسار النفس ؟ .

يقول قيس :

ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى

لما حملته بينهن الأضالع

فهو يحيا على رجاء ، ورجاؤه أن تعطف النوى عنه . فترجع عن مكايدته وتنصرف ، هذا الأمل على بعده بالنسبة له وبساطته بالنسبة للنوى ، أمد أضالعه بما يعينها على تقبل قلبه المكلوم وحمله بينها ، وهذا القلب كما يرجو عطف النوى ، كان يرجو الأضالع أن تحمله ، لأن به ما يجعل الضلوع تضيق وتستغيث ، وأقل هذا الذى به أنه :

له وجبات إثر لبنى كأنها
شقائق برق فى السحاب لوامع

قالوا : وجب القلب وجيباً ووجباناً ، خفق واضطرب ورجف ، وإثر الشىء — بكسر الهمزة — أى فى عقبه . وشقائق البرق جمع الشقيقة ، أى العقيقة ، والعقيقة السحابة تبعجت بالماء ودفعت به ، تقول : رأيت البرق وعقيقته ، وهو ما استطار منه فى الأفق وانتشر ، واللوامع المضيئة ، والبرق ، الضوء يلمع فى السماء ، وقد عرف أنه يكون إثر انفجار كهربى فى السحاب .

ألم نقل : إنه قلب لا يطاق حمله ؟ إنه قلب يخفق ويضطرب ، ويرتجف ولا يهدأ أبدا ، يصدر عنه

هذا وكأنه شظايا البرق التى تتطاير وتتناثر فى أرجاء السماء ، فهى صورة مركبة تركيبا جميلا ، قد تخيرها الشاعر ليدل على مخبوء صدره ومضمر نفسه .

والقلب مادامت به حياة فهو يجب ، ولا يكفه عن الوجيب سوى الموت ، فقلب قيس إذن دائم الوجيب ، ولكنه ليس كما تجب قلوب الناس ، إنما هو الوجيب الذى صوره وتصورناه وعقلناه .

ولقد يرى قيس فى نهاره وليس فيه شىء لافت ، ولا سمة تميزه عن الناس ، ولقد يكون هكذا فى أعين لا تتفحصه ولا تحاول ابتلاءه ، فهو على ذلك كما يقول : نهارى نهار الناس ... ، وقوله : نهارى بالحديث وبالمنى .

أما حقيقته فكما يقول : يظل نهار الوالهين نهاره ، وقوله : حتى إذا دجا لى الليل هزتنى إليك المضاجع ، وقوله : ويجمعنى بالليل والهم جامع ، وقوله : وتهدنه فى النائمين المضاجع .

ليس من شك فى أننا نجد فى هذا وما قبله وما بعده شاعرا يعبر عن نفسه فى صدق وبتعبير نافذ الكلمات ،

شاعرا يحس ما يقول ولا يزور مشاعره ويتكلفها ، وإنما أحس بهموم ليله فعبر بصدق عنها ، وأحس بما يعتاده فى نهاره فعبر عنه بصدق أيضاً .

ولقد أجاد قيس وأحسن فى تصويره كيف أن مضاجعه تحركه بشدة نحو لبنى ، وما ذلك إلا تعبير عن قلقه وجفاء مضاجعه ، ومخاصمة عينيه النوم ، وأروع منه تصويرا أن يجمعه مع الهم جامع ، وهو فى ذلك مقهور غير مختار ، وتلك قضية يراد لها ما يبررها ويقر بأنها الحقيقة والواقع ، ولا أدل على ذلك من قوله :

وقد نشأت فى القلب منكم مودة

كما نشأت فى الراحتين الأصابع

قالوا : نشأ الشيء نشئا : حدث وتجدد ، والصبى : شب ونما . وإذا كان لكل ناشيء مكان ينشأ فيه ، فإن ناشيء قيس مودة ، ومكان نشأتها ونموها قلبه ، وهى دائمة الحدوث والتجدد ، كما يدل معنى لفظها اللغوى .

ولما كانت هذه المودة ثابتة ومتمكنة ، أو جزءا منه أو كالجزء الذى لا يطاق الاستغناء عنه ، صور نشوءها فى قلبه بنشوء الأصابع فى الراحتين .

وأرى قيساً يلخص أمره وحياته كلها فى قوله :

أبى الله أن يلقى الرشاد متيم

إنه متيم ، وهذا كاف ، فكل من تيمه الهوى أو الحبيب فقد استبعد وأذهب عقله ، والذى لا يلقى الرشاد بفقد الاهتداء والطريق القويم ، ولكن لا حيلة ، ولا راد لقدر :

ألا كل أمر حم لابد واقع

وتعبير الشاعر « أبى الله » يفيد أن الرشاد لن يلقاه متيم أبدا ، لأن ذلك يأباه الله ، وهل من راد لما أراده الله وقضاه ؟ .

وفى قوله :

هما برحابى معولين كلاهما

فؤاد ، وعين ماقها الدهر دامع

صورة بديعة ، فهذا عاشق مدله متدله ، برح به الحب فأجهده وكلفه المشقات ، وقد انعكس على فؤاده وعينه ، أما فؤاده فمفئود وداؤه الحب ، وأما عينه فماقها ، وهو مؤخرها الذى يلى الصدغ ، دامع طوال الدهر ، أى طوال حياته ، هذه العين الدامعة أبدا ،

وهذا القلب المبتلى بأعمق الحب ، قد صار كل منهما معولا ، وإذا عرفنا أن المعول حديدة أو فأس عظيمة ينقر بها الصخر ، تبينا الى أى مدى كانت معاناة قيس ، وكيف كانت المشاق التى تصارعه ويصارعها ، وأنه كان فى جلده — غالباً — كالصخرة الصماء .

وعلى الرغم من تساند عينه وفؤاده ضده ، فإنه ما كان يجد مفرا من أن ينحاز إليهما ، فكأن بلوته فى هذا الانحياز ، وهذا واضح فى قوله :

إذا نحن أنفدنا البكاء عشية

فموعدنا قرن من الشمس طالع

« فنحن » يعبر بها عن نفسه وفؤاده وعينه ، وأنفد ، من معانيها قضاء الأمر ، ومن معانى العشية أنها تطلق على الوقت من أول الليل الى ربعه ، ومن الغروب الى الصباح ، وإذا ما صدق ذلك فليله موصول بنهاره ، وهو المعنى الأوفق مع ما سبق من أبياته فى ليله ونهاره ، وأوضح ما يشرح ذلك قوله :

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى

ويجمعنى بالليل والهم جامع

فما أشبه البيت والبيت الذى نحن بصدده بقول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى

بصبح ، وما الاصباح منك بأمثل

وقول قيس :

وللحب آيات تبين بالفتى

شحوب وتعرى من يديه الأناجع

الآية : من معانيها الأمارة والعلامة ، وتبين : أى تتبين ، وتظهر وتتضح . والفتى : الشاب أول شبابه ، والسخى ذو النجدة ، وهو من الفتوة . والشحوب : التغير والهزال ، والأناجع : عروق ظاهر الكف .

إن الذى سبق والذى سيأتى كله آيات دالة دلالة صريحة على الحب الذى تمكن من شغاف قيس ، ولكنا نراه يريد أن يحصى كل شىء أثر فيه من جراء حبه ، يستوى فى ذلك أن يكون الأثر فى داخل نفسه وقلبه ، أو أن يكون فى ظاهر بدنه كالذى فى هذا البيت .

وفى كلمات هذا البيت ، كما فى غيره ، صور تبعث على التأمل والاعجاب .

فمن المعروف البين أن مرحلة الفتوة هى مرحلة القوة ، ومرحلة الصبر والقدرة على التحمل مهما يكن عبء المحمول ، عن يصاب بالشحوب والضعف والهزال آيات على أن الحب قد أوهى جلده ، وغلب صبره .

وتعرى الأشاجع ، وبروز العروق فى ظاهر الأكف قد تظهر على من تجاوز الكهولة ، فظهورها على من لا يزال فى الشباب والفتوة أمر لافت ، وكاشف عن تغلغل الحب فى قلبه ، بل فى جميع أعضائه ، وإذن فما أشبه حالته بحالة قابوس بن وشمكير الذى يقول :

خطرات ذكرك تستثير مودتى
فأحس منها فى الفؤاد دبيبا
لا عضو لى إلا وفيه صبابة
فكأن أعضائى خلقن قلوبا

وقيس خير من جرب أمانى الخلوة ، وسبحات الوحدة ، فكثيرا ما غرق فى أحلام يقظته ، ثم صحا على الصدى ، يقول :

وما كل ما منك نفسك خاليا
تلاقى ، ولا كل الهوى أنت تابع

وكما أنه لا يلاقى أمانى نفسه التى تتراءى عليه وتتوالى فى خلوته ، فإنه غير مستطيع أن يتبع كل هوى يطرأ عليه أو يوسوس إليه .

وفى قوله :

تداعت له الأحزان من كل وجهة
فحن كما حن الظؤار السواجع

عود الى العزف على الأوتار الحادة ، أو الأنين بحوت مرتفع ، ولا نقصد بذلك أنه لان أو تناسى وجده ، ولكنا قصدنا أن أوتاره محتدة دائماً ولكنها فى مواطن تكون أشد حدة ، فالأحزان تتداعى وتتجاذب وهمها أن تجتمع عليه ، وكأن طريقاً واحدا لم يسعها ، فأتته من كل وجهة ، وانسالت عليه من كل طريق ، فود لو وجد مخرجا فيهرب من تلك الهموم ، فلم يجد إلا الحنين ، وقد كان حنينه الى الماضى ، الى لبنى ، كحنين الأمهات العاطفات على غير أولادهن ، أو على البو .

والعطف على غير الأولاد كان بعد فقد الأولاد ، والذى افتقده هو لبنى ، فعلام يحن ؟ لكأنى به يرى حنينه فى غير ذى موضع ، لأنا نعلم أن الظئر قد نلهت بنا

عطفت — بضم العين وتشديد الطاء مكسورة — عليه ،
ولكن قيساً يقول عن نفسه :

وجانب قرب الناس يخلو بهمه
وعاوده فيها هيام مراجع

والمجانب ، المبتعد ، والمعاودة : حدوث الشيء مرة بعد أخرى ، والهيام ، من معانيه فوق ما سبق : التحير ، وأشد العطش ، والجنون من العشق ، وهو الأنسب هنا ؟ ، والمراجع المعاود ، فهو توكيد لما قبله .

فمجانبته الناس خالياً الى همه ، ومعاودة الهيام له وإلحاحه عليه يشي بأنه لم يتله بشيء ، وأن همه كله فى لبنى .

ومن بعد ذلك فنحن نشعر بمشاعر قيس ، ونحس بمقدار معاناته ومقاساته ، نحس بأنه يخلو بهمه ليأسه اليؤس الذى يسرى عنه ، وندرك أن الهيام والتحير يعاوده أن ماضيه مع لبنى لم يزل يملك عليه كل أحاسيسه .
ولا نظن بيتاً فى قصيدته هذا تراليه الزفرات والحسرات .
ثم يعود ملتفتاً الى نفسه مخاطباً لائماً عاتباً ، فيقول :

أراك اجتنبت الحى من غير بغضة
ولو شئت لم تجنح إليك الأصابع

والبغضة — بكسر الباء — شدة البغض ، والجنوح الى الشيء : الميل إليه ومتابعته ، فلوم قيس لنفسه سببه ، أو أحد أسبابه اجتناب الناس أو الحى الذى يحيى فيه ، على الرغم من أنهم ما أساءوا إليه ولا أبغضوه ، فإذا ما جنحت الأصابع إليه ، وتابعته مشيرة دالة على أنه المحب العاشق المتدله ، فإنه هو الذى أوجد ذلك . ولو شاء لكتم وتصبر ، ولم يظهر ذلك الذى حدثنا عنه فى شعره ، حتى كأن لم يخف من أسراره شيئاً .

ومن أبياته العاتبة أيضا ، والموصولة بسابقها قوله :

كأن بلاد الله ما لم تكن بها
وإن كان فيها الخلق — قفر بلاقع

وهذا المعنى قد سبق له نظير . أو قريب منه . قال :

كأنك لم تعشه إذا لم تلقها ...

إن بلاد الله كلها وعلى اتساعها مفازة لا ماء فيها ولا نبت .
وبلاقع خالية من كل شيء ، أما أى مكان فيه ليلى فيه

رياض غناء ، وهو بهذا المعنى يعود بنا الى حيث بدأ ، فقد بدأ هذه القصيدة بما يدل على أن الديار خالية ما لم تكن بها لبنى .

وفى أبيات قيس التى ختم بها عمله هذا ، وهى ثلاثة ، أراه يلخص تجربته ، ويوجزها كى نظل معها ، ونحس باحساسه ، لأن طول الكلام ينسى آخره أوله ، كما قال الصديق — رضى الله عنه — أراد قيس ذلك فقال :

الا إنما أبكى لما هو واقع

وهل جزع من وشك بينك نافع

أحال على الدهر من كل جانب

ودامت ولم تقلع على الفجائع

فمن كان محزونا غدا لفراقنا

فملآن فليبكى لما هو واقع

لقد تأمل قيس فى حاله وفى تصرف الحياة معه ، تأمل فرأى أنه وما به لا يخفى على أحد ، ولا ينكره أحد . فقال : « ألا » وهى أداة دالة على التنبيه وأهمية ما بعدها من كلام ، وحيث تنبه المخاطب ، قال : « إنما » وهذه أداة تجىء لخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته . أو لما ينزل هذه المنزلة — كما يقول شيخ البلاغيين

« عبد القاهر » ، وبما أن بكاءه لا ينقطع ، ودمعه لا يرقا . فقد عبر بما يفيد التجدد والحدوث « أبكى » وهذا البكاء على حرقته من أجل أمره الذى وقع ، ومازالت آثاره مرئية ، وقد علمه من علمه .

ولما كانت أحداث مأساته تمر مسرعة لا تلوى على بؤسه ، ولا تعطف على يأسه ، أتى « بالوشك » — بضم الواو وسكون الشين — وهو مصدر « وشك » الذى يدل على الاسراع والعجلة ، واستفهامه « وهل جزع » دال على النفى واليأس من أن البين لا يقع « وهل جزع نافع » .

وحرق المأساة بجملتها قد ضمنها قوله : أحال على الدهر من كل جانب ... ، ولفظ « أحال » من معانيها التحول من حال الى حال ، وحال الدهر مع قيس وتحوله ، كان من السىء الى الأسواء ، ويكفى أن رزأه ببين لبنى ، ونلمح فى قوله : « من كل جانب » أن ما نزل به لم يكن يدرى مأتاه ، فكأنه ينهال عليه من جهاته الأربع . ومن ثم لم يحاول أن يدفع عن نفسه ، وذلك لعلمه بفشل المحاولة مهما كانت ، ولخوفه من أن ترتد عليه بأشد مما كانت ، وعلى هذا جاء قوله : « دامت ولم تقلع على الفجائع » .

وحياة قيس وقصته على مدى الزمان درس وعبرة ، ولاشك أن كل من قرأها سيشعر بشعور أطرافها ، وصدق تجربة شاعرها « قيس » .

أحس قيس بهذا ، وتوقع تأثير مأساته على المدى ، فأراد البكاء ممن عرف قصته وزامنها ، وممن سيعرفها فى الغد البعيد ، قال :

فمن كان محزونا غدا لفراقنا
فملآن فليبكى لما هو واقع

أهم مراجع البحث

١ — أبو إسماعيل القالى — الأمالى — صححه وعلق عليه الأستاذ الأصمعى ، ط. الهيئة ١٩٧٥ .

٢ — أبو العباس ثعلب . مجالس ثعلب . ت. الأستاذ عبد السلام هارون — ط. المعارف ١٩٦٩ .

٣ — أبو عبيد الله المرزبانى — معجم الشعراء — ت. د/ كرنكو ط. القدس — أولى .

٤ — أبو الفرج الأصفهانى — الأغانى — ت. البجارى وآخرين ط. الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٣٨٩ — ١٩٧٠ .

٥ — أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى — المؤتلف والمختلف ت. د/ سالم الكرنكوى ، ط. القدس — أولى .

٦ — أبو محمد عبد الله بن قتيبة — الشعر والشعراء ، ت. الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط. المعارف ١٩٨٢ .

٧ — أبو محمد عبد الله بن هشام — مغنى اللبيب ، ت. الشيخ محمد محيى الدين ، ط. المدنى — بدون .

٨ — أبو محمد على بن حزم — طوق الحمامة ، ت. د/ الطاهر مكى ، ط. المعارف ١٩٨٥ .

٩ — أبو منصور الثعالبى — يتيمة الدهر — ت٠ الشيخ محمد محيى الدين ، ط٠ حجازى — بدون ٠

١٠— الأحوص الأنصارى — ديوانه — ت٠ د/ إبراهيم السامرائى ط٠ النعمان — العراق ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م ٠

١١— عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى — شرح شواهد المغنى ط٠ محمد أفندى مصطفى — حوش قدم — ١٣٢٢ هـ ٠

١٢— عبد الرحمن عثمان — دكتور — معالم النقد الأدبى ٠ ط٠ دار النشر للجامعات ١٩٦٨ ٠

١٣— عبد السلام سرحان وعبد الهادى العدل — أستاذان — دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر — ط٠ دار الفكر الحديث ، ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م ٠

١٤— عبد القاهر الجرجانى — أسرار البلاغة ، ت٠ الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط٠ المدنى ، ١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م ٠

١٥— عبد القاهر الجرجانى — دلائل الاعجاز ، ت٠ الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط٠ المدنى ١٩٨٤ ٠

١٦— كارلونا لينو — دكتور — تاريخ الآداب العربية ، ط٠ المعارف ١٩٧٠ ٠

١٧— محمد بن سلام الجمحى — طبقات فحول الشعراء ، ت٠ الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط٠ المدنى ١٩٧٤ ٠

١٨— محمد غنيمى هلال — دكتور — الحياة العاطفية ، ط٠ نهضة مصر ١٩٧٦ ٠

١٩— محمد غنيمى هلال — دكتور — النقد الأدبى الحديث ط٠ الشعب — ثالثة ١٩٦٤ ٠

٢٠— محمد محمد أبو موسى — دكتور — قراءة فى الأدب القديم ، ط٠ دار الفكر العربى ١٩٧٨ ٠

٢١— محمود — جار الله الزمخشرى — تفسير الكشاف ٠

٢٢— مصطفى صادق الرافعى — الأستاذ — تاريخ آداب العرب ط٠ الأخبار ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م ، الاستقامة ١٣٥٩ م — ١٩٤٠ م ٠

٢٣— معاجم اللغة العربية ٠

٢٤— نجيب محمد البهبيتى — دكتور — تاريخ الشعر العربى ، ط٠ دار الكتب ١٩٥٠ ٠

د/ حامد إبراهيم الخطيب

أستاذ الأدب والنقد المساعد